

## لوثر والإصلاح

المحاضرة ٤: بناء كاتدرائية القديس بطرس

أ.ر. سي. سرول

نُكْمِلُ الْآنَ فِي دِرَاسَتِنَا لَلوْثَرِ وَالِإِصْلَاحِ. فِي حِصَّتِنَا الْأَخِيرَةِ، تَكَلَّمْنَا عَنِ الْأَزْمَةِ الَّتِي حَدَّثَتْ فِي حَيَاةِ لُوْثَرِ عَامَ ١٥١٥، فِي مَا يُدْعَى تَجْرِبَةَ الْبُرْجِ، عِنْدَمَا حَصَلَ عَلَى إِعْلَانٍ، وَفَهَمَ بِشَكْلِ جَدِيدٍ بَرَّ اللَّهَ، أَنَّ بَرَّ اللَّهَ الَّذِي بِالْإِيمَانِ هُوَ الْبِرُّ الَّذِي يُؤَمِّنُهُ اللَّهُ لِأَوْلِيكَ الَّذِينَ يُعَوِّزُهُمُ الْبِرُّ فِي أَنْفُسِهِمْ. قَالَ لُوْثَرُ لِاحِقًا إِنَّهُ عِنْدَمَا رَأَى هَذَا الْمَفْهُومَ وَفَهَمَ الْإِحْيَاءَ مِنْ وَجْهَةِ النَّظَرِ تِلْكَ، بَدَأَ يَرَاهُ تَقْرِيْبًا فِي كُلِّ صَفْحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَقَدْ عَيَّرَ هَذَا فَهْمَهُ لِلْأَهْوَاتِ وَلِلْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ تَمَامًا. فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ، فِي رُومًا، بَدَأَتْ أُمُورٌ شَدِيدَةُ الْأَهْمِيَّةِ. فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، كَانَ هُنَاكَ اثْنَانِ مِنَ الْبَابَاوَاتِ فِي السُّلْطَةِ، وَهُمَا يُعَدَّانِ، حَتَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُؤَرِّخِي الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ، مِنْ أَكْثَرِ الْبَابَاوَاتِ فَسَادًا فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ.

أَوَّلُهُمَا هُوَ يُولْيُوسُ الثَّانِي، الَّذِي عُرِفَ بِأَنَّهُ الْبَابَا الْمُحَارِبُ، وَكَانَ يَقُودُ جُنُودَهُ مُحَاوِلًا أَنْ يَضُمَّ الْأَرَاضِي إِلَى السَّيْطَرَةِ الْبَابَاوِيَّةِ، فَسَفَكَ الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ مِنَ الدَّمَاءِ فِي سَعْيِهِ هَذَا. كَانَ طَمُوحًا فِي أَحْلَامِهِ. أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ كَاتِدْرَائِيَّةً جَدِيدَةً لِأَسْقُفِ رُومًا، بَازِيلِيكٍ جَدِيدَةٍ وَقُبَّتُهَا تُنَافِسُ الْبَارْتِنُون. كَانَتْ تِلْكَ الْقُبَّةُ لِتُعْطِيَ الْكَنِيسَةَ الصَّخْمَةَ وَتُشَكِّلُ مَأْوَى مَلَائِمًا لِإِعْظَامِ الرَّسُولَيْنِ بَطْرُسَ وَبُولُسَ، الَّتِي يُفْتَرَضُ بِهَا أَنْ تَكُونَ فِي قَبْرِ هَذَا الصَّرْحِ الصَّخْمِ. لِذَا، بَدَأَ الْعَمَلُ عَلَى هَذَا الْمَشْرُوعِ. وَبَعْدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ مِنْ بِنَاءِ أُسَاسَاتِ كَنِيسَةِ الْقَدِيسِ بَطْرُسَ ثُوْفِي يُولْيُوسُ الثَّانِي، وَخَلَفَهُ الْبَابَا الْمِيدِيشي لِيُو الْعَاشِرُ، الَّذِي وَصَفَهُ أَحَدُ الْمُوَرِّخِينَ الْكَاثُولِيكِيِّينَ بِأَنَّهُ مُحَنَّةٌ شَدِيدَةٌ لِلْكَنِيسَةِ، لِأَنَّهُ فِي وَسْطِ فَسَادِهِ الشَّخْصِيِّ أَفْرَغَ لِيُو الْعَاشِرُ خَزَائِنَ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ بِاسْتِنْفَادِ الْأَمْوَالِ الَّتِي جَمَعَهَا كُلُّ مَنْ سَبَقَهُ مِنْ بَابَاوَاتِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَتْ مَوْجُودَةً عِنْدَمَا اسْتَلَمَ. لِذَا، كَانَتْ الْكَنِيسَةُ عَلَى شَفِيرِ الْإِفْلَاسِ. وَتَمَّ إِيقَافُ بِنَاءِ كَاتِدْرَائِيَّةِ الْقَدِيسِ بَطْرُسَ بَعْدَ وَضْعِ الْأَسَاسَاتِ. وَبَدَأَتْ الْأَعْشَابُ الضَّارَّةُ تُعْطِي أُسَاسَاتِ الْمَبْنَى الْأَرْضِيَّةَ. وَبَدَأَ، لِفَتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ عَلَى الْأَقْلَ، أَنَّ مَبْنَى الْكَاتِدْرَائِيَّةِ لَنْ يُكْمَلَ أَبَدًا.

فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ، بَيْنَمَا كَانَ لِيُو الْعَاشِرُ فِي رُومًا يُصَارِعُ مَعَ مَوَارِدِهِ الْمَادِيَّةِ الْمُسْتَنْفَذَةِ فِي أَلْمَانِيَا، كَانَ هُنَاكَ أَمِيرٌ شَابٌّ مِنْ سُلَالَةٍ هُوْنِيْتَسُولِرِن، وَهُوَ يُدْعَى الْأَمِيرَ الْأَبْرَتَ مِنْ بَرَانْدِنْبُرْغ. يُشَكِّلُ الْأَبْرَتَ أَيْضًا شَخْصِيَّةً مَحُورِيَّةً لِلِإِصْلَاحِ الْبُرُوتِسْتَانْتِي لِلْسَّبَبِ الثَّانِي: عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ أَصْعَرَ مِنْ أَنْ يُمَسِيَ أُسْقُفًا وَفَقَّ الْقَانُونِ الْكَنِيسِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أُسْقُفٌ مِنْطَقَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا فِي هَالْبِرْشْتَادَتِ، وَالْأُخْرَى فِي مَآغِدِبُورْغ. وَقَدْ افْتَتَى هَذَيْنِ الْمَرْكَزَيْنِ مِنْ خِلَالِ عَمَلِيَّةٍ تُدْعَى "السِّمُونِيَّة". سَادُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَلَى اللُّوْحِ، "السِّمُونِيَّة". السِّمُونِيَّةُ هِيَ الْعَمَلِيَّةُ الَّتِي تُمَكِّنُ النَّاسَ مِنْ شِرَاءِ

مَنَاصِبَ كَنَسِيَّةٍ. كَانُوا يَدْفَعُونَ لِلْبَابَا أَوْ لِلنَّظَامِ الْكَنَسِيِّي مَا يَكْفِي مِنَ الْمَالِ لِيُكَافَأُوا بِتَعْيِينَاتٍ كَمَنْصِبِ الْأُسْقُفِ. وَالاسْمُ "سِيمُونِيَّةٌ" يَعُودُ إِلَى الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، إِلَى الْحَدِيثِ الَّذِي حَاوَلَ فِيهِ سِيمُونُ السَّاحِرُ الْمَجُوسِيُّ أَنْ يَشْتَرِيَ الرُّوحَ الْقُدْسَ مِنْ بَطْرُسَ عِنْدَمَا رَأَى بَطْرُسَ يَقُومُ بِالْمُعْجَزَاتِ، عِنْدَئِذٍ أَجَابَهُ بَطْرُسُ "لِتَكُنْ فِصَّتَكَ مَعَكَ لِلْهَلَاكِ". وَأُظُنُّ أَنَّهَا تَرْجَمَةٌ مُلَطَّفَةٌ لِمَا قَالَهُ بَطْرُسُ لِسِيمُونِ الْمَجُوسِيِّ. لَكِنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ، أَمَسَتِ السِّيمُونِيَّةُ مُمَارَسَةً شَائِعَةً فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى، وَبِخَاصَّةٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

هَذَا نَوْعُ الْأُمُورِ الَّتِي شَهِدَهَا لُوتَرٌ فِي زِيَارَتِهِ إِلَى رُومَا فِي عَامِ ١٥١٠، حَيْثُ رَأَى الْمَدِينَةَ مُسْتَسْلِمَةً إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْفُسَادِ. أَوَّلًا، لَمْ يَكُنْ يُسْمَحُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ أُسْقُفًا أَكْثَرَ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، ثَانِيًا، كُلُّ الْقَوَانِينِ الْكَنَسِيَّةِ تَنْصُ عَلَى عُمُرٍ مُعَيَّنٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَلْبِرْتُ مُؤَهَّلًا فِي كِلَا الْحَالَتَيْنِ، لَمْ يَكُنْ بِالْعُمُرِ الْمُنَاسِبِ وَكَانَ أُسْقُفٌ مِنْطَقَتَيْنِ، وَقَدْ اشْتَرَى هَذَيْنِ الْمُرْكَزَيْنِ. كَانَ يَظْمَحُ لِأَنْ يُصْبِحَ أَقْوَى رَجُلٍ دِينٍ فِي كُلِّ أَلْمَانِيَا. وَشَعَرَ مَنْصِبُ مِطْرَانٍ فِي مَدِينَةِ مَائِنَزِ الْكَبِيرَةِ، فَاشْتَعَلَتْ شَهْوَةٌ أَلْبِرْتُ لِلتَّمَامِ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْ نَوَالِ أَلْبَرْشِيَّةِ مَائِنَزِ، مَعَ الْمُرْكَزَيْنِ اللَّذَيْنِ يَتَمَتَّعُ بِهِمَا، كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُحَقِّقَ حُلْمَهُ بِأَنْ يَكُونَ أَقْوَى رَجُلٍ دِينٍ فِي أَلْمَانِيَا.

لِذَا بَدَأَ بِمُفَاوَضَاتٍ مَعَ رُومَا وَمَعَ الْبَابَا لِيُؤْمِنَ مِنْ أَجْلِ الْخُصُولِ عَلَى هَذِهِ الْأَلْبَرْشِيَّةِ الْجَدِيدَةِ. لِذَا بَدَأَتْ الْمُفَاوَضَاتُ بِطَلَبِ الْبَابَا دُفْعَةَ ١٢٠٠٠ دُوكَاتٍ ذَهَبٍ، فِي مُقَابِلِ أَلْبَرْشِيَّةِ مِنْطَقَةِ مَائِنَزِ. قَابَلَ الْأَمِيرُ أَلْبِرْتُ طَلْبَهُ بِعَرَضِ ٧٠٠٠ دُوكَاتٍ ذَهَبٍ. قَالَ الْبَابَا إِنَّهُ أَرَادَ ١٢٠٠٠، أَلْفَ لِكُلِّ رَسُولٍ، وَقَابَلَهُ أَلْبِرْتُ بِعَرَضِ ٧٠٠٠، أَلْفَ لِكُلِّ مِنَ الْخَطَايَا السَّبْعِ الْمُمِيتَةِ. وَأَخِيرًا تَوَصَّلُوا إِلَى تَسْوِيَةٍ، تَمَكَّنَ مِنْ خِلَالِهَا أَلْبِرْتُ أَنْ يَحْضِلَ عَلَى أَلْبَرْشِيَّةِ مَائِنَزِ مُقَابِلَ دُفْعَةِ ١٠,٠٠٠ دُوكَاتٍ ذَهَبٍ، أَلْفَ لِكُلِّ مِنَ الْوَصَايَا الْعَشْرِ. لَكِنَّ عَقْدَةَ الْقِصَّةِ تَكْمُنُ فِي طَرِيقَةِ تَوْفِيرِ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ثَرَاءِ الْأَمِيرِ أَلْبِرْتِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ بِحُوزَتِهِ ١٠,٠٠٠ دُوكَاتٍ ذَهَبٍ لِشِرَاءِ أَلْبَرْشِيَّةِ مَائِنَزِ، لِذَا قَامَ بِاقْتِرَاضِ الْمَالِ مِنْ مَصْرَفِيٍّ فُوعِرٍ فِي أَلْمَانِيَا، وَوَأَفَقُوا عَلَى إِقْرَاضِهِ مَبْلَغَ ١٠,٠٠٠ دُوكَاتٍ ذَهَبٍ لِيَمْرَرَهَا لِاحِقًا إِلَى الْبَابَا.

وَلِتَحْسِينِ الصَّفَقَةِ، مَنَحَ الْبَابَا فَائِدَةً إِضَافِيَّةً إِلَى أَلْبِرْتِ مِنْ بَرَانْدِنْبُورْغِ، مَنَحَهُ إِذْنًا لِيَكُونَ مَسْئُولًا عَنْ تَوْزِيْعِ الْغُفْرَانِ فِي كُلِّ أَلْمَانِيَا، وَفِي كُلِّ الْمَنَاطِقِ وَالْأَنْحَاءِ الْمَسْمُوحِ بِهَا سِيَاسِيًّا. وَكَانَ الْإِتْفَاقُ هُوَ التَّالِي: مُقَابِلَ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَمَكَّنَ أَلْبِرْتُ مِنْ جَمْعِهَا عَبْرَ تَوْزِيْعِ غُفْرَانِ الْبَابَا، تَعُودُ ٥٠ بِالْمِئَةِ مِنْهَا إِلَى رُومَا لِإِنْبَاءِ كَانْدِرَائِيَّةِ الْقُدَيْسِ بَطْرُسَ، بَيْنَمَا ٥٠ بِالْمِئَةِ الْمُتَبَقِيَّةِ مِنْهَا يَعُودُ لِذَفْعِ دَيْنِهِ لِمَصْرَفِيٍّ أَلْمَانِيَا. بَدَأَتْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ مِنَ السَّبِيْعَاتِ الْوَاسِعَةِ لِلْغُفْرَانِ فِي أَلْمَانِيَا. لِتَفْهَمَ كَيْفَ حَدَثَ هَذَا، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أُوضِّحَ بَعْضَ الْأُمُورِ. أَوَّلًا، كَانَ مِنَ الْمُتَعَارِفِ عَلَيْهِ فِي الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ أَنَّهُ بِصَفَتِهِ خَلِيفَةَ بَطْرُسَ وَمُمَثِّلَ الْمَسِيحِ عَلَى الْأَرْضِ، كَانَ الْبَابَا يَحْمِلُ مَفَاتِيحَ الْمَلَكُوتِ، كَانَ يَمْلِكُ مَا يُدْعَى "بِسُلْطَةِ الْمَفَاتِيحِ".

بِالْعُودَةِ إِلَى أَيَّامِ الرُّسُلِ، عِنْدَمَا قَالَ يَسُوعُ لِلتَّلَامِيذِ "كُلُّ مَا تَرَبُّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ"، يَفْهَمُونَ أَنَّ يَسُوعَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ مَنَحَ مَفَاتِيحَ السَّمَاوَاتِ، لَيْسَ لِلتَّلَامِيذِ إِجْمَالًا، بَلْ لِبُطْرُسَ تَحْدِيدًا. وَتِلْكَ السُّلْطَةُ الْبُطْرُسِيَّةُ وَمِلْكِيَّةُ مَفَاتِيحِ الْمَلَكُوتِ انْتَقَلَتْ بَعْدَئِذٍ إِلَى جَمِيعِ خُلَفَاءِ بَطْرُسَ، مِنْ أَوَّلِ بَابَا وَصُولًا إِلَى الْقَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ إِلَى لِيُو الْعَاشِرِ. مَا كَانَ مُهِمًّا لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ بِمَفَاتِيحِ الْمَلَكُوتِ، هُوَ أَنَّ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ بِالْأَسَاسِ مِفْتَاحًا لِأَهَمِّ ثَرَوَةٍ تَمْلِكُهَا الْكَنِيسَةُ، لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الثَّرَوَةُ هِيَ الْحِزْنَةُ الَّتِي كَانَتْ تَحْوِي دُوكَاتِ الدَّهَبِ، بَلْ تِلْكَ الَّتِي تَحْوِي مَا كَانَتْ الْكَنِيسَةُ تَدْعُوهُ آنَذَاكَ، وَمَا تَرَالُ تَدْعُوهُ "كَنْزُ الْكَنِيسَةِ".

وَكَانَتْ الْكَنِيسَةُ هُوَ ذَلِكَ الْمَخْزَنُ حَيْثُ تُوضَعُ جَمِيعُ الْاسْتِحْقَاقَاتِ الَّتِي جَنَاهَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ. وَبِالإِضَافَةِ إِلَى الْاسْتِحْقَاقَاتِ الَّتِي جَنَاهَا يَسُوعُ، هُنَاكَ أَيْضًا مَجْمُوعُ اسْتِحْقَاقَاتِ مَرِيَمَ وَيُوسُفَ وَالرُّسُلِ الْأَصْلِيِّينَ وَالْقِدِّيسِينَ الْعُظْمَاءَ عَبْرَ الْعُصُورِ. لَذَا كَنْزُ الْكَنِيسَةِ هُوَ مَجْمُوعُ كُلِّ الْاسْتِحْقَاقَاتِ الَّتِي جُمِعَتْ عَبْرَ الْقُرُونِ مِنْ خِلَالِ عَمَلِ الْمَسِيحِ وَعَمَلِ الرُّسُلِ وَعَمَلِ الْقِدِّيسِينَ الْعُظْمَاءِ. مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ شَخْصٌ إِلَى السَّمَاوَاتِ فِي الْمَفْهُومِ الْكَاثُولِيكِيِّ، الَّذِي سَنَتَكَلَّمُ عَنْهُ لَاحِقًا بِشَكْلِ مُنْفَصِلٍ، تَوَجَّبَ عَلَى الشَّخْصِ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَرَحَلَةٍ فِي حَيَاتِهِ حَيْثُ يَكُونُ بِطَبِيعَتِهِ بَارًّا، حَيْثُ لَا خَطِيئَةَ مُبِينَةً تُلَطِّحُ شَخْصِيَّتَهُمْ أَوْ تَصَرَّفَهُمْ وَسُلُوكَهُمْ، لَكِنْ أَيْضًا لَا خَطِيئَةَ عَرَضِيَّةً وَلَا عَيْبَ أَبَدًا. إِنْ مَاتَ أَيُّ شَخْصٍ وَأَيُّ عَيْبٍ مُعَلَّقٍ فِي رُوحِهِ، قَبْلَ أَنْ يَتِمَّكَنَ هَذَا الشَّخْصُ مِنَ الدَّهَابِ إِلَى السَّمَاوَاتِ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقْضِيَ بَعْضًا مِنَ الْوَقْتِ فِي الْمَطْهَرِ، وَهُوَ مَكَانُ التَّطْهِيرِ، مُهِمَّتُهُ تَطْهِيرُ الْعُيُوبِ مِنَ الرُّوحِ كَمَا تُطَهَّرُ الْبُوتَقَةُ نِهَايَاتِ الْمَعَادِنِ مِنَ الدَّهَبِ النَّقِيِّ.

وَكَمَا رَأَيْنَا، فَقَدْ يَتَرَاوَحُ وَقْتُ الْمَرْءِ فِي الْمَطْهَرِ مِنْ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ إِلَى مَلَائِينَ السِّنِينَ، وَفَقَّ عَدَدِ الْعُيُوبِ الَّتِي يَحْمِلُهَا مَعَهُ إِلَى الْمَطْهَرِ. لَذَا، فَالْتَّاسُ الَّذِينَ تُعَوِّزُهُمُ الْاسْتِحْقَاقَاتُ لِيَصِلُوا إِلَى السَّمَاءِ، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَجِدُوا طَرِيقَةً، إِنْ أُمِكنَ، لِيُقَلِّلُوا مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي يُمَضُونَهُ فِي مَكَانِ التَّطْهِيرِ هَذَا. حَفَنَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ النَّاسِ عَبْرَ التَّارِيخِ حَقَّقُوا مَا يَكْفِي مِنْ الْاسْتِحْقَاقَاتِ يَتِمَّكَنُونَ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ يَصْعَدُوا مُبَاشَرَةً إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ. تُمَيِّزُ الْكَنِيسَةُ الْكَاثُولِيكِيَّةُ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْاسْتِحْقَاقَاتِ الثَّلَاثَةِ. وَقَدْ أَمْسَى هَذَا الْجَدَلُ مُحَوَّرِيًّا بِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ جِدًّا فِي الإِصْلَاحِ.

أَنْوَاعُ الْاسْتِحْقَاقَاتِ الثَّلَاثَةِ هِيَ: أَوَّلُهَا يُدْعَى "الْاسْتِحْقَاقُ الْمُسْتَحَقُّ"، وَيُكْتَبُ بِالطَّرِيقَةِ الثَّلَاثِيَّةِ: "الْاسْتِحْقَاقُ الْمُسْتَحَقُّ"، أَوْ فِي اللُّغَةِ اللَّاتِينِيَّةِ "مِيرِيْتوم دِي كُونْدِيغْنُو". وَالْاسْتِحْقَاقُ الْمُسْتَحَقُّ هُوَ اسْتِحْقَاقٌ فَاضِلٌ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ يَفْرِضُ التَّزَامًا مِنَ الْعَدَالَةِ عَلَى اللَّهِ لِيُكَافِئَهُ. إِنْ كَانَ الشَّخْصُ يَتَمَتَّعُ بِاسْتِحْقَاقٍ مِنْ هَذَا النَّوعِ، يَكُونُ اللَّهُ ظَالِمًا إِنْ

لَمْ يُقَدِّمِ الْجَائِزَةَ الْمَلَائِمَةَ لَهُ. بِالطَّبَعِ كَانَتْ الْكَنِيسَةُ تُؤْمِنُ أَنَّ اسْتِحْقَاقَ يَسُوعَ الَّذِي حَقَّقَهُ كَانَ اسْتِحْقَاقًا مُسْتَحَقًّا. لَكِنَّ لَمْ يُحَقِّقْ يَسُوعَ وَحْدَهُ اسْتِحْقَاقًا مُسْتَحَقًّا، بَلْ أَيْضًا عَدَدٌ مِنَ الْقِدِّيسِينَ عَبْرَ التَّارِيخِ.

نَوْعُ الاسْتِحْقَاقِ الثَّانِي يُدْعَى "الاسْتِحْقَاقِ الْمُنَاسِبِ"، أَوْ "مِيرِيتِيمِ دِي كُونْغُرُو". وَالاسْتِحْقَاقِ الْمُنَاسِبِ لَيْسَ بِسُمُوٍّ أَوْ بِأَهْمِيَّةِ الاسْتِحْقَاقِ الْمُسْتَحَقِّ، لَكِنَّ فِيهِ بَعْضًا مِنَ الاسْتِحْقَاقِ الْمُرْتَبِطِ بِهِ أَيْضًا. الاسْتِحْقَاقِ الْمُنَاسِبِ هُوَ اسْتِحْقَاقٌ كَافٍ لِإِلَاطِمٍ أَوْ يَسْتَاهِلٍ مُكَافَأَةً مِنَ اللَّهِ، وَسَيَلْعَبُ هَذَا دَوْرًا مُهِمًّا جَدًّا فِي عَقِيدَةِ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِسِرِّ التَّوْبَةِ. عِنْدَمَا نَدْرُسُ عَقِيدَةَ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى التَّبَرُّيرِ، سَتَرَى دَوْرَ هَذَا الاسْتِحْقَاقِ الْمُنَاسِبِ.

لَكِنَّ هُنَاكَ نَوْعٌ ثَالِثٌ مِنَ الاسْتِحْقَاقِ مُهِمٌّ جَدًّا لِاعْتِبَارِنَا هُنَا، وَهُوَ مَا يُدْعَى "الاسْتِحْقَاقِ الَّذِي يَفُوقُ نِدَاءَ الْوَاجِبِ"، يُحَقِّقُ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تَفُوقُ نِدَاءَ الْوَاجِبِ. لَيْسَتْ الْأَعْمَالُ الَّتِي تَفُوقُ التَّدَاءِ، بَلِ الَّتِي تَفُوقُ نِدَاءَ الْوَاجِبِ. الْأَعْمَالُ الَّتِي تَفُوقُ نِدَاءَ الْوَاجِبِ هِيَ أَعْمَالٌ مُسْتَحَقَّةٌ، تَفُوقُ وَتَسْمُو فَوْقَ نِدَاءِ الْوَاجِبِ، هِيَ اسْتِحْقَاقَاتٌ تُحَقِّقُ أَكْثَرَ مِمَّا يَطْلُبُهُ اللَّهُ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ الْمُطِيعِينَ. مِنْ بَيْنِهِمُ الشَّهَدَاءُ فِي شَهَادَتِهِمْ، تَمَكَّنُوا مِنْ نَوَالِ الاسْتِحْقَاقِ الَّذِي يَفُوقُ نِدَاءَ الْوَاجِبِ، وَالْقِدِّيسُونَ الْعُظَمَاءُ الَّذِينَ مَرُّوا فِي التَّارِيخِ، أَشْخَاصٌ مِثْلُ جِيرومَ وَالْقِدِّيسِ فَرْنَسِيْسِ الْأَسِيْزِيِّ وَالْقِدِّيسِ أَوْغُسْطِينِ وَتُومَا الْأَكُوْبِينِيِّ. هَؤُلَاءِ الْقِدِّيسُونَ الْعُظَمَاءُ الَّذِينَ كَانُوا فَاضِلِينَ فِي حَيَاتِهِمْ لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُحَقِّقُوا أَوْ يَكْتَسِبُوا مَا يَكْفِي مِنَ الاسْتِحْقَاقِ الْمُسْتَحَقِّ لِيَدْخُلُوا إِلَى السَّمَاءِ مُبَاشَرَةً مِنْ دُونِ الْمُرُورِ إِلَى الْمَطْهَرِ فَحَسْبُ، لَكِنَّ كَانَتْ لَدَيْهِمْ اسْتِحْقَاقَاتٌ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُونَهُ. كَانُوا قَدْ جَنَوْا إِضَافَةً مِنَ الاسْتِحْقَاقَاتِ مِنْ خِلَالِ - كَمَا ذَكَرْتُ مُنْذُ قَلِيلٍ - أَعْمَالٍ تَفُوقُ نِدَاءَ الْوَاجِبِ. لِدَا، هَذِهِ الْإِضَافَةُ مِنَ الاسْتِحْقَاقَاتِ الَّتِي اِكْتَسَبَهَا الْقِدِّيسُونَ، تُصَافُ إِلَى كَنْزِ الْكَنِيسَةِ.

أَتَرُونَ الصُّورَةَ؟ يَحْوِي هَذَا الْكَنْزُ اسْتِحْقَاقَ الْمَسِيحِ، وَاسْتِحْقَاقَ الْعَائِلَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَاسْتِحْقَاقَ الرُّسُلِ، وَاسْتِحْقَاقَ الْقِدِّيسِينَ. كُلُّ هَذِهِ الاسْتِحْقَاقَاتِ الْإِضَافِيَّةِ مَوْجُودَةٌ وَبِالْإِمْكَانِ اسْتِخْدَامُهَا وَتَوَزِيْعُهَا كَمَا يَشَاءُ الْبَابَا وَيُقَرَّرُ بِسُلْطَةِ الْمَفَاتِيحِ. أَمَّا الْغُفْرَانُ، فَهُوَ هِبَةٌ أَبَاوِيَّةٌ، يُؤْخَذُ اسْتِحْقَاقَاتٍ مِنْ كَنْزِ الْكَنِيسَةِ وَيُمنَحُ إِلَى شَخْصٍ تُعَوِّزُهُ اسْتِحْقَاقَاتٌ أَوْ تُنْقِضُهُ اسْتِحْقَاقَاتٌ، لِيَتَمَكَّنَ مِنْ تَقْصِيرِ فِتْرَتِهِ فِي الْمَطْهَرِ وَيَذْهَبُ إِلَى السَّمَاءِ. لِدَا، نَوَالِ الْغُفْرَانِ كَانُوا وَلَا يَزَالُ أَمْرًا مُهِمًّا فِي نِظَامِ الْخُلَاصِ الْكَاثُولِيكِيِّ. هُنَاكَ بَعْضُ الْمَفَارِقَاتِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهِذَا، وَسَاتَكَلَّمُ عَنْهَا لَاحِقًا لِأَنَّهَا تَضُمُّ بَعْضًا مِنَ الْإِسْنَادِ، تَعْيِينُ اسْتِحْقَاقِ شَخْصٍ لِاسْتِحْقَاقِ شَخْصٍ آخَرَ بِسَبَبِ نَقْصِهِ.

لِلْحُصُولِ عَلَى الْغُفْرَانِ وَتَطْبِيقِ هَذَا الاسْتِحْقَاقِ مِنْ كَنْزِ الْكَنِيسَةِ، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ حُدُوثِ بَعْضِ الْأُمُورِ، وَسَاتَكَلَّمُ عَنْهَا بِشَكْلِ أَعْمَقٍ لَاحِقًا، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِسِرِّ التَّوْبَةِ. لَكِنَّ أَحَدَ عَنَاصِرِ سِرِّ التَّوْبَةِ الَّذِي يَتَقَدَّمُ فِيهِ الْخَاطِئُ الثَّابِتُ لِلْاعْتِرَافِ، وَيَعْتَرِفُ بِخَطَايَاهُ إِلَى الْكَاهِنِ، وَيَحْضُلُ عَلَى الْغُفْرَانِ مِنَ الْكَاهِنِ، وَيَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَئِذٍ أَنْ يَقُومَ بِبَعْضِ

أَعْمَالِ الاسْتِحْقَاقِ الْمُنَاسِبِ مِثَالِ قَوْلِ عَدَدٍ مِنْ صَلَاةِ "تَطْوِيبِ الْعُذْرَاءِ" أَوْ "الْأَبَانَا" أَوْ التَّعْوِيزِ، وَأَحَدُ الْأُمُورِ الْمُحَدَّدَةِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ مُتَطَلِّبَاتِ التَّوْبَةِ، هُوَ مَنَحُ الصَّدَقَاتِ. بِحَيْثُ إِنَّهُ إِنْ مَنَحَ الشَّخْصُ صَدَقَةً نَابِعَةً مِنْ شُعُورٍ حَقِيقِيٍّ بِالتَّوْبَةِ، فَالصَّدَقَةُ الَّتِي كَانَتْ تُدْفَعُ، تُمَكِّنُ نَقْلَ الْغُفْرَانِ إِلَى حِسَابِهِ.

يُوضِّحُ الْقَانُونُ الْكَنَسِيَّ الْخَاصُّ بِالْكَنِيسَةِ أَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا يُؤْخَذَ هَذَا عَلَى أَنَّهُ بَيْعٌ لِلْغُفْرَانِ بِبَسَاطَةٍ، يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ خِلَالِهِ أَنْ يُدَوِّنُوا شَيْكًا وَيُخْرِجُوا أَقْرِبَاءَهُمْ مِنَ الْمَطَهَرِ، أَوْ يَزُمُوا نُقُودًا فِي الْقَدْرِ لِیَحَقِّقُوا الْعَايَةَ عَيْنَهَا. لَكِنَّ الطَّرِيقَةَ الْعَمَلِيَّةَ لِتَنْفِيزِ هَذَا، بِخَاصَّةٍ فِي أَلْمَانِيَا، أَمَسَتْ فَضِيحَةً حَثَّتْ لَوْثَرَ لِأَنَّ يَتَحَرَّكَ وَيُدَوِّنَ أَطْرُوحَةً مِنْ ٩٥ قَضِيَّةً، عَلَّقَهَا عَلَى حَائِطِ الْكَنِيسَةِ لَيْلَةَ عِيدِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ عَامَ ١٥١٧. لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ بِرُمْتِهَا كَانَتْ تَتَعَلَّقُ بِالصَّدَقَاتِ الَّتِي تَحْدُثُ. وَكَانَ الْبَابَا يَسْتَعْمِدُ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةَ لِیَكْسِبَ الْأَمْوَالَ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِبِنَاءِ الْكَنِيسَةِ. يُمَكِّنُنِي أَنْ أَتَفَهَّمُ الْبَابَا لِأَنِّي أَعْرِفُ مَا مَرَّرْتُ فِيهِ هُنَا مِنْ أَجْلِ بِنَاءِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ، وَأَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ كَانَ لَدَيَّ كَنْزُ الْكَنِيسَةِ لِأَسْحَبَ مِنْهُ، مِنْ أَجْلِ تَشْجِيعِ النَّاسِ عَلَى الْعَطَاءِ لِبِنَاءِ كَنِيسَتِنَا هُنَا، كَنِيسَةَ الْقِدِّيسِ أَنْدْرَاوَسْ. لَكِنَّ هَذَا مَا بَدَأَ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي انْفَجَرَتْ تِلْكَ الْفِتْرَةَ فِي سَاكْسُونِيَا مَعَ بَيْعِ تِيئَزِلْ، مُمَثِّلِ الْبَابَا، لِلْغُفْرَانِ، وَهُوَ مَا سَتَتَكَلَّمُ عَنْهُ فِي مُحَاضَرَتِنَا الْمُقْبِلَةِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رِعَاةِ كَنِيسَةِ الْقِدِّيسِ أَنْدْرُو ( St. Andrews Chapel ) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْإِصْلَاحِ ( Reformation Bible College ). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهُوتِيُون" ( Everyone's A Theologian ).